

« الفكر الشعري » من خلال وحدة الايديولوجية السائدة والشكل السياسي المتقارب في هذه الاقاليم والذي يسمح باكتشاف نقاط تلاقح واحدة في البنية الاجتماعية العربية في العشرينات والثلاثينات مقياسا ممكنا . فالتقسيم الذي اختاره المؤلف هو أسهل الاحتمالات النقدية المتوفرة . كما انه حين تطرق للبحث في الشعر الفلسطيني — طوقان — محمود — الكرمي ، فانه لم يتوقف لحظة لدراسة متأنية عن الوضع الفلسطيني القائم برمته . بل حاول اكتشاف نصوص تشير الى دلالات فكرية متفاوتة في فهمها للمسألة الفلسطينية . ان هذا المنهج الذي اختاره المؤلف ، يعكس انعكاسات سلبية جدا ، على سياق البحث بأسره . أي انه يزول عنه طابع جهد الاضافة الذي تفترضه الممارسة النقدية بوصفها ممارسة ، ليحولها الى تجميع لنصوص شعرية . وحتى في هذا التجميع نفسه ، غائنا نفتقد الجهد الشمولي ، ومحاولة عقد المقارنات على أسس ثنية .

ب — ان الزاوية الضيقة التي وضع فيها المؤلف نفسه منذ البداية ، تنعكس انعكاسات سلبية على مجمل الدراسة . فهو لا يبدأ من تطور الحركة الشعرية الحديثة منذ شوقي ، ولا يتوقف عند دراسة المفاهيم المختلفة التي يمكن ان تنتجها المدارس الشعرية التي نشأت في هذا القرن . بل قام بعملية دمج تمسفية ، بين مختلف التيارات الشعرية . وهنا نصل الى نقطة هامة . ما هو اثر التحولات الفنية في بنية القصيدة على فهم المسألة الفلسطينية ككل ؟ لا جواب في سياق الدراسة ، سوى محاولات وعظمية تصحح مفاهيم بعض الشعراء ، حول قضية النضال الفلسطيني .

ج — كما ان المؤلف ، لا يتوقف عند الدور « الجماهيري » الذي لعبه هذا الشعر ، بوصفه شعر منابر . بل لم يحاول طرح مسألة الشكل الشعري من خلال مفهوم فعالية الشعر ، أي علاقته بالناس وبالنضال اليومي . لذلك لم يتوقف مثلا عند ظاهرة الاناشيد الشعرية التي استعملها بعض الشعراء ، كتألب يستطيع ان يتسع لمهمة التعبئة الجماهيرية التي كانت تجري في شتى اشكال النضالات .

د — وأخيرا ، لا بد من ملاحظة ، بعض الغيابات الكبيرة من دراسته ، لا سيما فيما يتعلق بالشعر الفلسطيني بعد هزيمة ١٩٤٨ . هنا لا نجد اثرا

شعرا ؟ ان مشروعية طرح هذه المسألة هنا تكمن في طريقة معالجة المؤلف للشعر ، أي في تأكيده على أولوية الموضوع . الجواب الجاهز على هذا التساؤل هو في رفض التساؤل نفسه ، أي في القول كما يقول اغلب الدارسين والنقاد انه لا يمكننا فصل الموضوع عن الشكل . لكن هذا الجواب الجاهز والذي ينتقد من المآزق يفترض تطبيقا نقديا . وهذا ما لا نجده الا نادرا . عدا عن انه لا يلغي المسألة ، لانه لا يجيب على اشكالية عامة ، تفترض الادب بشكل عام شكلا للصراع الايديولوجي .

١ — يبدأ المؤلف بتحديد وجهة دراسته . « لا شك ان اية دراسة لشعرنا العربي المعاصر تظل ناقصة اذا لم تعالج الخط الفكري الذي قطعه هذا الشعر انطلاقا من وعد بلفور الى النكسة » . بعد هذا التحديد الحصري لوجهة الدراسة يبدأ البحث في اتجاهين :

— الاتجاه الغالب ، الذي يحاول قراءة الشعر العربي في موقفه من وعد بلفور وهزيمة ٤٨ ، وفي ثورته ونتجعه .

— اتجاه آخر ، لا يتفصل عن مسار هذا الاتجاه ، يحاول ان يتوقف ، بسرعة كبيرة على الشكل الشعري . فلا يتوقف سوى عند المفهوم النقدي العربي القديم . أي دراسة المحسنات اللفظية ودلالات الكلمات ، دون الوقوف عند الشكل الشعري بشكل متكامل سوى في بعض اللوحات الخاطفة .

وأخيرا نصل الى خاتمة الكتاب ، حيث يقيم الناقد موازنة بين شاعر كلاسيكي هو بدوي الجبل ، وشاعر « حديث » هو نزار قباني ، ليؤكد على افضلية شعر بدوي الجبل بشكل كاسح .

٢ — ضمن هذا الهيكل الذي تتدرج فيه الدراسة ، يمكننا ان نسجل بعض الملاحظات :

أ — في القسم الاول الذي يمتد من وعد بلفور الى النكسة ، لا نجد بنية واحدة ، او مجموعة من البنى التي توحد المقاطع الشعرية التي يثبتها المؤلف . أي ان التمييز لا يتم الا من خلال طابع اقليمي لا اعتقد انه يصح ان يكون معيارا نقديا . الشعر في سوريا أو لبنان أو العراق كما يقول المؤلف ، بل ربما تكون اشكالية البحث عن وحدة